

يصور من قبل ولادة “الديجيتال”

محمد المناعي: أرسم بعدسة الكاميرا

فتحية البلوشي:

قبل عشرين عاما اغترب فتى للدراسة، لم يملأ عليه فراغ يومه شيء أكثر من الطبيعة، يجلس كل عصر على الكرسي وحيدا يتأمل بحيرة جميلة تسكنها بجعات ظريفات يراقب حركاتها.

ذات نهار نادته بجعة ترقص بخيلاء، أغرته أن يحتفظ لها بصورة، هو الذي لم يقتنِ كاميرا بعد، اتجه إلى أقرب مكان يمكنه فيه أن يحصل على كاميرا، اشترى واحدة وعاد إلى البحيرة، والتقط أول صورة.

ذاك الفتى المغترب في أميركا للدراسة، عاد إلى بلده عاشقا للكاميرا، للصورة، ولفن التصوير، فأصبح واحدا من ألمع مصوري قطر، ومن أشهر مدربي التصوير فيها.

عشق قديم

يرسم المصور القطري محمد المناعي بالكاميرا ما لا تصدقه العين من الصور، صورة تقطع الخط الفاصل بين الرسم والصورة بطريقة تخلق ارتباكا لمن يراها، يقول المناعي: “عشقت الصور وفن التصوير منذ صغري، كنت أعد محاليل تحميض الصور البدائية مع أخي الأصغر مستخدما معدات “المطبخ”، وأحاول إغراق أي قطعة “نيجاتيف” أعثر عليها بين أغراض والدي في تلك الأحماض التي نعددها مستعينين بمجلات الأطفال”.

يتابع: “صور البجع التي مازلت أحتفظ بها لليوم، فتحت لي باب تصوير كل شيء، أحاول أن أرى بعيني مختلف التفاصيل الصغيرة، أجتهد لأن تكون صوري متميزة، فقبل عشرين عاما لم تكن الكاميرا “الديجيتال” قد ولدت بعد، ولم تكن هناك سوى عين المصور لاختيار الزوايا وتصنيف الصور”.

بين “الديجيتال” والفيلم

كاميرا الفيلم التي يراها الكثيرون “معقدة” وصعبة يرى المناعي أنها “فن خاص”، يقول في ذلك: “كاميرا الفيلم أكثر نقاوة من “الديجيتال”، وهي تظهر إبداع المصور الفعلي، بها يختبر المصور قوة “عينه وخياله”، فهو يتخيل الصورة بعقله، يرسم زواياها بفكره، ويلتقطها بالكاميرا، ثم ينتظر لأيام حتى يرى الصورة ويلامس ما حققه فيها من تطور فني”.

برغم ذلك، لا ينكر المناعي فضل الكاميرات “الديجيتال” على عالم التصوير، ويقول: “مثل ظهور كاميرات تمكن المصور من النظر مباشرة لما التقطه من صور فتحا جديدا في عالم التصوير، فهذه الكاميرات الرقمية كانت مختلفة تماما عن تلك “ذاتية التحميض” المعروفة باسم الفورية، هذه الكاميرات كانت أكثر وضوحا وأفضل أداء وأصغر حجما أيضا”.

يتابع المناعي: “قدم عالم “الديجيتال” للمصورين الكثير من الخدمات الجليبة، فهو في البداية أضاف للتصوير الكثير من الهواية الجدد الذين جددوا في التصوير وأبدعوا فيه، كذلك مكن المصورين من إعادة تصوير لقطات بلا حصر في نفس اللحظة، مما وسع خيارات المصور في اختيار أفضل لقطاته.

كما أضافت كاميرات “الديجيتال” للمصور مزيدا من الخصوصية، فهو يحض صورته منزليا عبر طابعات الصور، وهذا ما ساعد الكثيرين على حفظ خصوصيتهم وأفكارهم”.

البرامج و"الإنترنت"

هناك أيضا -يتابع المناعي-: برامج تعديل الصور ك"الفوتوشوب" وغيرها، وهي برامج أضافت للصور تأثيرات خاصة، وجعلت إمكانية تحويل لقطة واحدة إلى عشرات اللوحات المختلفة أمرا سهلا لأي مصور متمكن من هذه البرامج. كل هذه المميزات مكنت "الديجتال" من السيطرة على عالم التصوير، لكن هذه الكاميرات لم تصل لليوم إلى درجة حساسية كاميرات الفيلم، وهذا ما حذى بمصنعي كاميرات "الديجتال" بصنع كاميرات تحاول مضاهاة كاميرا الفيلم بالحساسية، لكنها تباع بمبالغ طائلة لا تقل عن 50 ألف درهم.

ساهمت شبكة الإنترنت أيضا في الحركة التصويرية بقوة، يقول المناعي: "وجدت الصورة اليوم مدى انتشار واسع عبر شبكة الإنترنت، فالصورة التي يلتقطها مصور في الإمارات، يراها العالم كله خلال ربع ساعة من رفعها على "الإنترنت"، فينقدها مصور في بلجيكا، ويقدها آخر في المكسيك، ويعجب بها أناس من أستراليا.. العالم الافتراضي لا تحده حدود ولا يفصله عن الآخرين إلا الشاشة، خاصة مع وصول لكاميرات إلى الهواتف واتصال هذه الهواتف بمعارض الصور "الإنترنتية" مثل "فليكر" و"فيس بوك" وغيرها".

ثقافة الصور

أقام المناعي عشرات من ورش تدريب التصوير، واشترك في معارض لا يذكر عددها الحقيقي، لكنه لم يطمح إلى الجوائز ويراها بمنظور خاص، يقول: "حينما يحصل أحد طلبتي على جائزة أشعر بالزهو، وأعتبر أنني من حصلت عليها، لأن الجوائز الحقيقية هي في كم طالبا متميزا تعلم على يديك وليست في شهادات التقدير فقط".

يتابع المناعي: "أعتبر أن شهادات عضويتي في العديد من الجمعيات العالمية للتصوير هي مقياس نجاحي الفعلي، فالجمعية الأميركية للتصوير مثلا تضم نخبة مصوري العالم وتضع العديد من القيود على انضمام المصورين لها، وكوني عضوا فيها أعتبر أن مثل هذه العضوية إنجازا بحد ذاته".

يعتقد المناعي أن الصور خير ناقل للثقافة، يقول في ذلك: "تعكس الصور طبيعة المجتمع وثقافته السائدة، هي تسجل أحداثه، وتحفظ أفراحه وأحزانه، هي ليسرت ذكرى كما يردد كثيرون، إنها تاريخ، وكي تكون مساهما في هذا التاريخ، عليك أن تنمي ثقافتك البصرية".

يتابع المناعي ناصحا المصورين: "إن أردت احتراف التصوير، تعلم النظر بعقلك، انظر إلى الصور، تصفح، راقب، احفظ الزوايا واستوعب كمية الظل، تابع حركة الضوء وانعكاس النور، قلّد ما تراه، حاول أن تجتهد، بعدها صور وصور وصور، صور كثيرا واختر الأفضل، استمع إلى نقد من سبقوك وتعلم من أخطائك حتى تبعد".